في مكتبتنا

كتاب: رسائل جابر بن حيّان الكوفيّ (٢٠٠هـ/٨١٦م) الفلسفيّة المحقّقة (تحرير أ. د. حسن كريم ماجد الربيعيّ)[*1]

تقديم

الصورة السلبيّة التي كوّنها فلاسفة الغرب عن القرون الوسطى، كانت كافية لتجاهل هذا المخاض العلميّ والفلسفيّ والأدبيّ، حقبة سيّئة السمعة في الذاكرة الجماعيّة كما تكرّست في ما يعرف بعصر التنوير، لكنّها ذاكرة أثبت خطأها مرّتين:

المرّة الأولى، حينما كابر أعلام الغرب وبالغوا في مفهوم القطيعة، قبل أن ينبري من داخل الغرب من يمنح القرن الوسيط دورًا رياديًّا في التمهيد للثورة الحديثة. هل يا ترى كان ديكارت مدينًا للعصر الوسيط المتأخّر أم هو نتاج قطيعة؟ إنّ ديكارت هو ابن ذلك المخاض. وأيّا كان الأمر، فلقد فجّر دان سكوت أهميّة العودة إلى آثار القرون الوسطى الفلسفيّة لكي نحقّق الفهم الموضوعيّ لمآل ومصير الفلسفة الحديثة، وكان هيدغر الذي قدّم أطروحة عن دان سكوت يدرك أهميّة العودة إلى القرون الوسطى والعصر اليونانيّ، بعد أن أعاد دان سكوت اكتشاف أرسطو من خلال ابن سينا خلافًا لما شاع عن دور الرشديّة اللاتينيّة.

المرّة الثانية، حينما كابر مؤرّخ الفلسفة الغربيّة الكلاسيكيّ متجاهلًا التراث الوسيطيّ العربيّ والإسلاميّ، وربّما لعب هيغل دورًا أساسيًّا في تغييب هذه القيمة قبل أن يعود لها المحقّق الغربيّ نفسه مصدومًا، وقد اضطر عديد

١- إدريس هاني: ٢٠٢١/٩/٢٥
الرباط-المغرب الأقصى

منهم إلى ضرب من الاقتباس دون امتلاك الجرأة للاعتراف، فكانت السرقات الفلسفيّة والعلميّة تستند إلى هذا التجاهل، حصل ذلك في الفلسفة وكذا في العلوم، ليس آخرها علم الحيل.

إن كان هناك من ثورة حقيقيّة في صميم الموقف الغربيّ من التراث الإسلاميّ الفلسفيّ والعلميّ الوسيطيّ، فهي تلك المغامرة التي أعادت اكتشاف معالم هذا النبوغ. وستبقى رسائل جابر بن حيان لحظة ثوريّة في تاريخ العلم الوسيطيّ وكذا فلسفته.

كان جابر بن حيّان الكوفيّ، وهو أزديّ من أصول يمنيّة، قد عاش في بغداد خلال القرن الثامن الميلاديّ، كما عاش في طوس، ويعود له الفضل في التأسيس للكيمياء التجريبيّة، باحثًا وخبيرًا في أشكال المواد والمعادن والنباتات، كما بحث في الأعشاب والأدوية والسموم، وله رسائل عديدة تدلّ على سبقه وريادته في هذا المجال.

اهتم المحقّقون لا سيّما المستعربون أو المستشرقون بتراث جابر بن حيّان الكيميائيّ، وهكذا طغى الجانب العلميّ على نشاطه الفلسفيّ. وكان جابر بن حيّان من أنجب تلامذة الإمام جعفر بن محمّد الصادق، وهو ما أكّد عليه عددٌ من المترجمين كابن خلكان الذي وصفه بابن جابر الصوفيّ الطوسي. وكان جابر بن حيّان قد ذهب مذهبًا تجريبيًّا في الكيمياء، وهو بذلك خفّف من الطابع السحريّ والخيميائيّ للكيمياء.

القيمة العلميّة لهذا العمل الذي يُضاف إلى سلسلة الأعمال العلميّة المفيدة التي تغني المكتبة العربيّة والإسلاميّة، والتي قام ويقوم بها العلامة د. حسن كريم ماجد الربيعيّ، تكمن في أنّه حاول أن يقدّم باقة من رسائل جابر بن حيّان الخاصّة بالفلسفة، مسهّلا بذلك المأموريّة على الباحث في الفلسفة الجابريّة بعد أن أتيح جمع رسائله العلميّة. والحقيقة كما ذكر صاحب العمل، أنّ البحث في جابر بن حيّان ممتع، لكنّه يحتاج إلى عمل جمعيّ ومؤسّسيّ. وما قام به الأستاذ الشيخ حسن الربيعيّ، يدخل في الأعمال الموسوعيّة، والتحقيقات التي تشكل البنية التحتيّة لأيّ بحث فلسفيّ حول جابر بن حيان، ود. حسن الربيعيّ، باحث ومحقّق وعالم مجدّ ومخلص

للمعرفة ومجاهد في تحقيقها، يعمل في صمت وبنُبل، وله أعمال مهمّة لا سيّما في مجال علم الرجال والسيرة والتاريخ. إنّ رسائل جابر بن حيان الفلسفيّة، جهد قيّم -يستحقّ الشكر والتكريم- في مجال التحقيق والتنظيم الضروريّ للمعرفة ولقيام تقاليد بحثيّة في الفلسفة تستند إلى النصوص الكبرى، وتعزيز الحاجة إلى إعادة قراءة وتقييم التراث الفلسفيّ العربيّ والإسلاميّ في العصر الوسيط.